

قصيدة شجرة المتوت

للشاعر د. حامد طاهر



خضرة الأرض .. والقرى .. والسواقي

ورمال على المدى .. وسحابه

وجهموع من الحمــــــــــــــــام .. وراع

يتغنّى .. ونخلتان .. وغابه

وصفير القطــــــــار ينداح في الأفــــــــق وتجرى خطواته صخاــــــــبــــــــه

لحظات تهز بالقلب فرعا

من صباه ، وتستعيد شبابه

يوم كانت دقائقه أغنيات

وهو اه تطاعا ، وصبايه

والأساطير فى زواياه نهر

يترامى .. وشاعر .. ورباه

ومساء معطّر بالأمانى

واشتياق الطفولة المنسابه

وحنان يشع من عين جدّ

غضنّ الصبر والزمّان إهابه

فإذا ما أتى الصباح .. انطلقنا

صبية فى الفضاء نطوى رحابه

الخليج المملآن كم ضمّ عمرا

لوّن الحب شمسّه وترايه

والفراش الذى سبانا ، فهمنا

خلفه فى الحقول.. نجنى سرابه

ودبيب إلى المقابر

واليوم عيون على الكوى ..مرتاب

كان شئ يشدنا للأعاجيب

فنعطيه أضلعا وثابه

ومع العود ، تلتوى خطوات

أنضج المصّهد جلدّها ، وأذابه

فتدور العيون تبحت عن قطعة ظل وللعيون انتحابه

" دوحة المتوت .. أسرعوا يا رفاقي "

وتهيج الأنفاس ، يعلو صداها

نتبارى على الوصول إليها

ونغنّى إذا بلغنا حماها

وعلى أرضها النديّة ترتاح جلابيبُ أشربت من ثراها

صبغتها الريح والطيح والشمس مرارا فغيّمت مرّاتها

ويهبّ النسيم فى الأفرع الخضراء فتمتدّ بالعطاء يداها

فتمحو عن القلوب صداها

وتسوق الأوراق رائحة الخصب

ما أحنى ذراعاً، وأضلعا، وشفاها

آه يا ضمّة الأمومة

تنحنى فوقنا بعطف كبير

تلقّى عطاشنا بنداهها

والعصافير سقسقات عذاب

وغصون تيّاهة فى علاها

وإذا صيحة تدمدم فينا

" أيّكم ينتهى إلى أعلاها ؟ "

وتلوى قواها

فتهب الأكفّ، تلتقط الأفرع فى دربة

والشمس ترتطمى فى مداها

صفّوا يا رفاق للبطل الوثاب

عندها نذكر البيوت ، فنستشعر زحف الدجى

وصمت رؤاهـا

أن أن تبعد البابل فى الليل

ولكن مع الصباح نقاهـا

من جديد يا أفرع المتوت ذاتى

غيمة ، يدفع الحنين خطاها

ذكريات تهزنى حين أرنو

بخيالى إلى الصبا ، وحياته

وتزيد الدقات ، ينتفض الصدر

ومشى فى العروق لحن مدمى

صبغت روعة الأسى رناته

ما تزال الأصداء فى رجة الأفق

وزهور على الطريق .. ونبع

يتهادى الموال فى موجاته

وتلوح الظلال من خلل الدمع

تحت هذى المفروع .. كان لقاء

أرعشت نسمة الهوى كلماته

إذا أيقظ الهوى طعناته

ولم يبرح السنا شرفاته

وتنمو الحيلة فى حبّاته

وسكتنا .. فوقَّ الصمت لحنا

يا حنان الحنان في نغماته !

واحتوى نغماته

صعد القلب يومها بجناحين من النور

يا شهقة الصدر ، ويا صهوة الهوى من سباته

ثم أهوى المساء

بعيد علينا فليكن والمصباح فى خطواته

الضحى نلتقى

لا .. عند أمّ منحبت مولد الهوى شمعاته

عند شط الخليج ؟

إجعلها محرابنا .. إن بعدنا

يقصد القلب نحوها فى صلاته

* * *

عدت يا قريتى أضمّ حنيننا

أبدينا.. إلى ثرائك الحنون

لهفة تشرب المدى خفقاتى

وأضممّ الأشياء ماء جفونى

وكل الهوى ، وكل الجنون

كل خطوى تحية لك أهديها

التراب الذى تمرّغت فيه

والمساء الذى أثار شجونى

وأوراق ظلها تحتوينى

والحيالة المخضراء فى أفرع المتوت

والمناس غربة فى عيونى

عادت يا قريتى .. أهدق فى الناس

واهتزت الرؤى فى ظنونى

ذاببت الألفة القديم فى الأعيان

وتساعلت :

أين خيمة أحلامي

وحبى، وفرحتى، ويقينى؟

!

فتلاقى عيونهم، واستدارت

همسات من الأسى المدفون

قطعت فى الشتاء للدفء

..
